

معركة أقليمش ودورها في الجهاد الإسلامي بالأندلس

501هـ-1108م

د. خالد حموم / قسم التاريخ والآثار / جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

khaled_dz 2011@yahoo.fr

الملخص:

سلك الأمير علي بن يوسف بعد توليه أمر المرابطين طريق أبيه يوسف بن تاشفين في أموره كلها، خاصة فيما يتعلق بالجهاد في سبيل الله وردّ حركة الاسترداد المسيحي للأندلس، ولأجل ذلك بادر بالجواز إلى الأندلس مباشرة بعد توليه شأن المرابطين سنة 500هـ/1106م، فكلّف أخاه تميم بخوض معركة فاصلة ضدّ النَّصارى الصَّلَيبِيِّين بشرق الأندلس حيث توجد مدينة أقليمش، وقد أسفرت هذه المعركة على انتصار باهر للمرابطين، حيث تمّ فتح أقليمش في شوال 501هـ/ماي 1108م وهزم القوَّات القشتاليَّة بقيادة سانشو الابن الوحيد لألفونسو السَّادس وولي عهده الذي قُتل في المعركة مع سبعة من كبار قادته والكثير من جنده.

الكلمات المفتاحية: المرابطين، الأندلس، أقليمش، حركة الاسترداد المسيحي، علي بن يوسف، ألفونسو السَّادس.

Résumé:

Le prince Ali Ben Youcef qui a succédé son père Youcef Ben Tachfin a régné les Almoravides durant la période de 500 ah/1106 ad. Sa gouvernance était la même que son père, en particulier le djihad contre les chrétiens d'Andalousie. Son premier objectif atteindre l'Andalousie, il a donc chargé son frère Temim à mener une bataille décisive contre les croisés chrétiens à l'est de l'Andalousie où se situe la ville d'Uclés, cette bataille a entraîné l'éclatante victoire des Almoravides et la défaite des forces Castellanes dirigées par Sancho le fils unique d'Alphonse VI et son prince héritier qui a été tué dans cette bataille avec sept de ses hauts dirigeants et de nombreux soldats au mois de chawal 501 ah/mai 1108 ad.

Mots clés: les Almoravides, Andalousie, Uclés, croisade chrétiens (La Reconquista), Ali Ben Youcef, Alphonse VI.

Abstract:

After the death of Youcef ben tachfin the prance of Almorabitin, his san Ali ben youcef continue in the Sam strategy as his father was doing in all domanins especially fighting the

enemies of Islam and protected the Andalusia from Christian movement, in the year of 500 ah/1106 ad he decided to centralize in Andalusia, when he give his brother Temim the responsibility of fighting agents the Christian in the east of Andalusia exactly the town of Uclés they entered it, he made a grat victory he killed Sancho the commander of Castilian army, the only son of Alphonse VI and his crown prince with seven leaders and many of his soldiers' in chawal 501 ah/may 1108 ad.

Keywords : Almorabitin, Andalusia, Uclés, Christian movement (La Reconquista), Ali Ben Youcef, Alphonse VI.

مقدمة:

عهد الأمير يوسف بن تاشفين في حياته لولده علي¹ لقيادة المرابطين من بعده في قرطبة بالأندلس سنة 496هـ/1103م لما آنس فيه من الورع والنباهة والحزم²، وعندما توفي الأمير يوسف في مستهل شهر محرم سنة 500هـ/سبتمبر 1106م³ بايعه أولاً أخوه الأكبر أبو الطاهر تميم⁴ ثم قال للمرابطين قوموا فبايعوا أمير المسلمين فبايعه جميع من حضر من لمتونة وسائر قبائل صنهاجة والفقهاء وأشياخ القبائل فتت له البيعة بمراكش وهو ابن ثلاثة وعشرين سنة⁵.

وقد كتب الأمير علي إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وبلاد السودان الغربي يعلمهم بموت أبيه واستخلافه من بعده ويأمرهم بالبيعة فأنته البيعة من جميع البلاد⁶

وأقبلت نحوه الوفود للتَّعزِّيَّة والتَّهْنئة⁷ إلَّا وفد مدينة فاس حيث لم يبايعه ابن أخيه الأمير يحيى بن أبي بكر بن يوسف الذي كان أميرًا عليها بعهدٍ من جده يوسف بن تاشفين⁸.

وقد بايع المرابطون الأمير علي بالإمارة لأنَّه كان يتوقد ذكاءً ونبلاً وفهماً⁹، فملك بذلك جميع بلاد المغرب من مدينة بجاية إلى بلاد السوس الأقصى، وملك جميع بلاد القبلة¹⁰ من سجلماسة إلى جبل الذهب¹¹ ببلاد السودان الغربي، وملك بلاد الأندلس والجزائر الشرقيَّة مَيُورقة ومِنُورقة ويابسة، وخطب له على ألفي ونيّف وثلاثة مئة منبر، وملك من البلاد ما لم يملكه والده لأنَّه وجد البلاد هادئة والأموال وافدة والمثلك قد توطد والأموال قد استقامت¹².

وقد شرع الأمير علي عندما استقامت له الأمور في تدبير شؤون دولته الواسعة الأرجاء، حيث سلك طريق أبيه في أموره كلها¹³، خاصةً فيما يتعلق بالجهاد في سبيل الله¹⁴ وردَّ حركة الاسترداد المسيحي بالأندلس¹⁵، ولأجل ذلك أخذ يعدُّ العُدَّة لخوض معركة فاصلة ضدَّ النَّصارى الصَّلَيبِيِّين خاصة شرق الأندلس حيث توجد مدينة أڤليش¹⁶.

ومن هذا المنطلق طرح الإشكاليَّة التَّالِيَّة: هل استطاع المسلمون بقيادة الأمير المرابطي علي بن يوسف التَّصدي لحركة الاسترداد المسيحي بالأندلس والانتصار في معركة أڤليش؟

وقد طرحنا من أجل الإجابة على هذه الإشكاليَّة العديد من التَّساؤلات: ما هي ظروف وأسباب عبور أمير المرابطين علي بن يوسف إلى الأندلس وإعلانه الجهاد ضدَّ النَّصارى؟ كيف كانت وقائع المعركة؟ وما هي التَّنتائج التي تمخَّضت عنها؟

للإجابة على مجموعة التساؤلات المطروحة اتبعت الخطة التالية: قسّمت البحث إلى مقدمة ومجموعة مباحث وخاتمة، أمّا المقدمة فعرفت فيها بالموضوع وإشكاليته وخطة العمل والمنهجية المتبعة في البحث.

وبالنسبة للعرض الذي يحوي مجموعة مباحث فقد حاولت من خلاله الإجابة على الإشكالية التي طرحتها، حيث تحدثت في المبحث الأول عن ظروف وأسباب عبور الأمير علي إلى الأندلس وكيف استعد لخوض المعركة ضدّ النصارى، وتطرّقت في المبحث الثاني للحديث عن وقائع وأحداث المعركة، أمّا المبحث الثالث فخصّصته للحديث عن النتائج التي أسفرت عنها المعركة.

وأخيراً أنهيت الموضوع بخاتمة حوت أهم النتائج المتوصل إليها في البحث، وألحقته بنص عبارة عن قسم من رسالة الأمير تميم إلى أمير المسلمين علي بن يوسف عقب النصر الذي أحرزه في المعركة، وخريطة تبين حدود دولة المرابطين بالأندلس في عصر علي بن يوسف.

أمّا المنهجية التي تناولت بها الموضوع فتمثلت في السرد التاريخي للأحداث، وكانت عملية السرد اعتماداً على المصادر وهو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات التاريخية، وتخلّلت عملية سرد الأحداث منهج التحليل والنقد لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق والجوانب الخفية، وكثّفت من الاستشهاد بالنصوص في المتن والهامش إمّا دعماً لرأي أو مُساندة لاستنتاج، وحاولت الرّد وبكل موضوعية على آراء المستشرقين من أجل توضيح ما طمسوه من حقائق تاريخية، خاصة المؤرخين الألمان يوسف أشباخ (Joseph Aschbach) والاسباني أمبروسيو هويثي ميراندا (Abrosio Huici Miranda).

الاستعداد للمعركة:

خصَّ الأمير علي بن يوسف بلاد الأندلس باهتمامه الشَّخصي واعتبرها أرض جهاد ذلك أنَّ موقعة الزَّلَافة¹⁷ التي خاضها أبوه من قبل ضدَّ المسيحيين في الأندلس عام 479هـ/1086م لم تضع حدًّا لحركة الاسترداد المسيحي بل على الضدَّ من ذلك كانت عاملاً رئيسياً في إفاقة دول النَّصارى وتوحيدها للعمل يدًا واحدة ضدَّ المرابطين¹⁸.

والواقع أنَّ الصراع الإسلامي المسيحي في الأندلس بلغ ذروته في عهد الأمير علي بن يوسف وتحوَّل إلى حروب ضارية اقتضت من المرابطين التَّصدي للقوى النَّصرانيَّة بحشد جميع قواتهم لإيقاف هذا المد الجارف وهذه الحركة الصَّليبيَّة الضَّخمة¹⁹.

ولأجل ذلك بادر الأمير علي بالجواز إلى الأندلس مباشرةً بعد توليه شأن المرابطين، فكان العبور الأوَّل سنة 500هـ/1106م، ويذكر ابن عذارى ذلك بقوله "وتحرك أمير المسلمين علي بن يوسف من حضرة مراكش مع جيوش المرابطين والمصامدة والجنود والحشود وعبر مدينة سبتة إلى الجزيرة الخضراء بالأندلس"²⁰، فبادر إليه قضاة الأندلس وفقهاؤها وزعمائها ورؤساؤها وأدباؤها وشعراؤها فامتدحه الشعراء فأجزل لهم العطاء وقضى لكل ذي مآرب إربه²¹.

ومن الأسباب التي جعلت الأمير علي يعبر إلى الأندلس بخلاف فرض الجهاد ومقارعة النَّصارى هو تفقد أحوال الأندلس عامَّة²²، ولكي يُقرَّ الولاة والقضاة في مناصبهم أو يعيَّن بدلاً عن المعزولين منهم²³.

فولى أخاه الأكبر أبو الطاهر تميم على غرناطة العاصمة الجديدة للأندلس²⁴، وجعله قائداً عامًّا للقوات المرابطيَّة بهذه البلاد²⁵، وولى أبا عبد الله محمد بن أبي زنغي²⁶ قرطبة، وولى محمد بن الحاج²⁷ فاس ثمَّ نقله بعد ستة أشهر إلى بلنسية²⁸.

ويظهر من خلال هذه الأعمال الإدارية والسياسية التي قام بها الأمير علي بالأندلس أنه كان يعدُّ العُدَّة لخوض معركة فاصلة ضدَّ النصارى الصليبيين، وصدَّ حركة الاسترداد التي تعاظمت بوفاة أبيه يوسف سنة 500هـ/1106م خاصةً شرق الأندلس حيث توجد مدينة أفلش، وقد حرص من أجل تحقيق هذا الهدف على تعيين خيرة القادة الذين كانت لهم خبرة عسكرية كبيرة في المعارك والحروب خاصةً أخاه أبو الطاهر تميم بن يوسف.

وبعد أن اطمئن أمير المسلمين علي بن يوسف على الجبهة الأندلسية بالاستعداد الجيّد لخوض المعارك والحروب مع العدوِّ النصارى عاد إلى بلاد المغرب واستقرَّ بعاصمة دولته مُرَّاكش²⁹ يتابع منها أحوال بلاد المغرب والأندلس معاً، وكان اهتمامه الكبير منصباً على بلاد الأندلس، حيث كان يراقب أحوال ولَّاتها ويتَّبَع أخبارهم ويقدم لهم النصَّح والإرشاد والتَّوجيه.

وقد أعطى الأمير علي إشارة البدء بالجهاد لأخيه تميم ضدَّ مملكة قشتالة في شهر شعبان عام 501هـ/1108م³⁰، وقد بادر لإعلان الجهاد مبكراً لعدة اعتبارات أهمها:

- محاولة صرف الجهود والطاقات نحو الجهاد بدلاً من أن تستغل في النزاعات الداخلية خاصةً بعد ظهور معارضة من بعض زعماء الدولة المرابطية لتولي الأمير علي مقاليد الحكم فقد عارضه كلُّ من يحيى بن أبي بكر بن يوسف ومحمَّد بن الحاج³¹، ومن ثمَّ فمن المرجَّح أنَّ الأمير علي رأى أنَّ انصراف المرابطين للجهاد خير موحَّد للأمة بدلاً من الشَّحناء والبغضاء³².

- تمزق الجبهة الداخلية القشتالية³³، وهذا بسبب ضعف ملكها ألفونسو السادس الذي لم تقم له قائمة بعد الضربة الموجعة التي تلقاها في معركة الزلاقة سنة 479هـ/1086م فرغم محاولاته المتكررة غزو أراضي المسلمين إلا أن محاولاته باتت أغلبها بالفشل الذريع لأن المرابطين تصدوا لها ببسالة.

- رغبة الأمير علي بن يوسف الرد على غارات ملك قشتالة ألفونسو السادس³⁴ الذي أخذ يعيث في أراضي المسلمين في الأندلس خاصة بعدما شاع خبر مرض أمير المسلمين يوسف بن تاشفين عام 498هـ/1104م، ففي هذا التاريخ أرسل ألفونسو السادس حملة مكونة من ثلاثة آلاف وخمسمائة فارس وصلوا في غاراتهم إلى أحواز إشبيلية فغنموا من القرى التي مروا منها الغنائم الوفيرة والأسلاب الكثيرة³⁵.

وقائع المعركة:

عندما أعد الأمير تميم³⁶ الغدة والعتاد اللازمين أنجه بجيش ضخم³⁷ من مدينة غرناطة في العشر الأواخر من رمضان عام 501هـ الموافق للعشر الأوائل من ماي عام 1108م³⁸ لغزو أراضي قشتالة فتوجه إلى مدينة جيان وعسكر فيها أياماً حتى وفدت عليه الجيوش والعساكر من قرطبة بقيادة أبا عبد الله محمد بن أبي زنغي³⁹.

ثم سار من مدينة جيان إلى مدينة بياسة في الشمال الشرقي للأندلس، ومنها تابع مسيرته شمالاً صوب أراضي قشتالة، وفي الطريق إليها وافته حشود مرسية بقيادة محمد بن عائشة⁴⁰، ثم لحقت به قوات بلنسية بقيادة واليها أبو محمد عبد الله بن محمد بن فاطمة⁴¹.

وبعد مسيرة عشرين أو خمسة وعشرين يوماً وصلت كل تلك القوات يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر شوال سنة 501هـ/27 ماي 1108م⁴² إلى مدينة أقليمش وبها

جمعٌ عظيمٌ من الرُّوم⁴³، فحاصرت القوَّات المِرابِطِيَّةُ المدينةَ ثمَّ دخلتها عنوةً في اليوم الموالي⁴⁴ حيث لم يستطع النَّصارى المدافعون عنها أن يثبتوا طويلاً أمام شدَّة المهاجمين⁴⁵، وقد التجأ المسلمون الذين كانوا يعيشون في المدينة تحت حكم النَّصارى إلى معسكر الجيش المِرابِطِي لا تدين بحمايته، وشرحوا لإخوانهم في الدِّين أحوال المدينة وظروف المدافعين عنها⁴⁶، بينما تحصن النَّصارى بقصبة المدينة⁴⁷ فبلغ خبرهم إلى الملك الشَّيخ أَلْفونسو السَّادس فاشتدَّ به الألم والحزن⁴⁸، فاستعد للخروج لإغاثة قومه وبلده⁴⁹، فأشارت عليه زوجته زائدة⁵⁰ أن يوجه ولده الوحيد وولي العهد سانشو⁵¹ عوضاً عنه لأنَّه كان مريضاً وشيخاً كبيراً لا يقوى على قيادة جيشه لمحاربة أعداء دينه⁵².

وكان أَلْفونسو السَّادس يرمي من خلال إرسال ابنه الوحيد سانشو الذي لم يكن يجاوز الحاديَّة عشر من عمره⁵³ بدلاً عنه لمقاتلة المسلمين هو إثارة حماسة جنده⁵⁴، وكذلك ليكون مقابلاً للأمير تميم لأنَّ تميماً ابن ملك المسلمين⁵⁵ وسانشو ابن ملك الرُّوم⁵⁶، وقد أمر مؤدبه الكونت غرسية أَرذونش⁵⁷ وألبرهانس⁵⁸ وكذلك جميع القادة الكبار المشاركين في المعركة⁵⁹ أن يحرصوا كل الحرص على حياة ولده ورفاهته⁶⁰.

اتجه سانشو ولد أَلْفونسو السَّادس في جيوش كثيرة من زعماء الرُّوم وأبجادهم⁶¹، بلغ تعداد هذا الجيش حسب ابن القطان نحو عشرة آلاف فارس⁶² إلى إغاثة أُقليش ومدافعة المسلمين، ولما علم أبو الطاهر تميم قائد جيوش المِرابِطِين بقدوم قوَّات العدوَّ أراد أن يرفع الحصار على المدينة ولا يلقيهم، فأشار عليه ابن عائشة وابن فاطمة وغيرهما من كبار قادة المِرابِطِين بمواجهة جيوش المسيحيين وعدم الرَّحيل، وشجعوه وهونوا عليه أمرهم وقالوا له لا تخف⁶³ فإنَّما قدموا في ثلاثة آلاف فارس وبيننا وبينهم مسافة⁶⁴.

وهناك رواية أخرى تختلف عن الرِّواية السَّابقة في تصوير موقف الأمير تميم والجيش المِرابِطِي من قدوم الجيش القشتالي إلى أُقليش، وقد فندت ما ذهب إليه ابن أبي

زرع بقوله أَنَّ الأمير تميم كان يريد فك الحصار وعدم لقاء جيش ألفونسو⁶⁵، مفاد هذه الرواية والتي ذكرها الأمير تميم في رسالته إلى أخيه أمير المسلمين علي بن يوسف والتي تصف الموقعة أَنَّهُ شاور قادة قواته بالخصوص ابن عائشة وابن فاطمة لأجل التَّوَصُّل لكيفية رد الجيش القشتالي والتَّصدي له، واتفقوا بعد هذه المشاورة على وجوب ملاقات العدو ورد عدوانه⁶⁶.

ويبدو أَنَّهُم اتفقوا أيضًا على كيفية تنظيم القوَّات المرابطية في المعركة على النحو التَّالي: قوَّات قرطبة بقيادة ابن أبي زنغي في المقدمة، وأهل مرسية وبلنسية في الجناحين، والأمير تميم مع قوَّاته الغرناطية في القلب⁶⁷، وبهذا التَّنْظِيم خرج الجيش المرابطي في فجر يوم الجمعة 16 شوال 501هـ الموافق 29 ماي 1108م لمواجهة القشتاليين على مسافة قريبة من أُلَيْش⁶⁸.

ومن محاسن الصُّدف أَنَّ الجيش الإسلامي تمكن قُبيل الصِّدام المسلح أن يحصل على معلومات غاية في الخطورة عن قوَّات العدو القادمة لقتالهم، حيث تمكن فتى مسلمًا كان أسيرًا عند القشتاليين من الفرار من المعسكر المسيحي وأفضى إلى المعسكر الإسلامي وأمد الأمير تميم بتفاصيل دقيقة عن نقاط الضَّعف والقوَّة لدى القشتاليين، وقد أورد الأمير تميم هذا الأمر في رسالته إلى أخيه علي حيث قال "وأرسل الله تعالى من جنده فتى كانوا قد سبوه صغيرًا واقتنوه أسيرًا، والله تعالى فيه خُبَاءة"⁶⁹ أعدها من عنده، وبعثها من جنده، ونَزَعَ⁷⁰ الفتى إلينا من معسكرهم منبئًا بهم دالًّا عليهم، وكاشفًا بهم على النِّبأ العظيم، ومطلعًا منهم على المقعد المقيم"⁷¹.

وعلى ضوء هذه المعلومات نظَّم المرابطون جيوشهم واستعدوا للقتال وهم على بصيرة بحقيقة عدوِّهم المندفع نحوهم⁷². وبدأ الهجوم ووقعت الصِّدمة الأولى حيث هجم النَّصارى على معسكر قرطبة الذي كان في مقدمة الجيش المرابطي، وحملوا عليه حملة منكرة، فانْهَزَمَ عسكر قرطبة ومشت الهزيمة عليه أُميالًا⁷³، ويؤكد الأمير تميم في رسالته هذا

الأمر حيث ذكر أنه في بداية المعركة انقضت قوات قشتالة على قوات قرطبة بقوله "وتقهقر قائد قرطبة أبو عبد الله محمد بن أبي زنغي غير مؤل⁷⁴، وتراجع غير محلٍ إلى أن اشتدّ منا بطؤ⁷⁵، ورجم⁷⁶ من جيشنا بعود⁷⁷ .

غير أن بعض الروايات النصرانية لم تتحدث عن انقضاى القوّات القشتاليّة على قوات قرطبة في بداية المعركة وتقهقر هذه الأخيرة إلى الخلف مسافة أميال، وبالعكس تمامًا فقد تحدثت عن هجوم المسلمين بشجاعة وتقهقر قوّات النصارى إلى الخلف، وقد أكّد ذلك المستشرق أشباح حيث قال بأنّ المسلمين عند الفجر هجموا على القشتاليين في فيض من الشجاعة والعنف ولم يستطع النصارى أن يصمدوا لهجوم يحده اليأس، فاضطروا إلى الارتداد رغم شجاعتهم ورباط جأشهم⁷⁸ .

وبالعودة إلى الروايات الإسلامية والتي ذكرت بأنّه بعدما تراجعت قوّات قرطبة إلى الخلف بادر جناحي الجيش المرابطي المكونين من قوّات مرسية وبلنسية بقيادة ابن عائشة وابن فاطمة بمهاجمة معسكر النصارى بعدما قاموا بعملية الالتفاف حوله فأثنخوا فيهم قتلاً⁷⁹، فأعطى الفرصة لأهل قرطبة لإعادة تنظيم صفوفهم من جديد⁸⁰ .

وفي تلك الأثناء دخلت قوّات غرناطة التي كانت في قلب الجيش المرابطي بقيادة الأمير تميم إلى ميدان المعركة، وانضمت إليه قوّات قرطبة بعدما أعادت تنظيم وحداتها فحاصروا الجيش القشتالي والتحمت الحرب بينهم⁸¹، وقد كانت معركة حامية الوطيس⁸² قال عنها ابن أبي زرع أنّه كانت بينهم حروب عظيمة لم يسمع مثلها فهزم الله تعالى العدو ونصر المسلمين⁸³، وذكر ابن الكردبوس بأنّ الجيشين تقاتلا، وتضاربا، وتجاولا، وتجاربا فنصر الله جيش المسلمين، وانهمز العدو اللعين⁸⁴ .

وعن هذا النصر يذكر ابن القطان أنّ المرابطين حقّقوا نصراً مؤزراً وهزموا المسيحيين وقتلوهم قتلاً ذريعاً⁸⁵، ويؤكد ذلك تميم في رسالته لأخيه علي حيث قال "فما وضع النهار، ولا مسح⁸⁶ الغبار حتّى خضعت منهم الرقاب، وقبلت رؤوسهم الثراب"،

وقال أيضاً "ومات جلهم بل كلهم، وما نجا إلّا أقلّهم"⁸⁷، ومن بين هؤلاء القتلى الولد الوحيد لألفونسو السادس الأمير سانشو⁸⁸.

وعن مقتل الأمير سانشو فهناك روايتين الأولى لابن القطان ذكر فيها أنّه حاول أن يفلت من المعركة مع ثمانية من كبار قاداته⁸⁹ منهم مؤدبه الكونت غرسية أزدونش والالتجاء إلى حصن بلشون⁹⁰ القريب من أقليمش فهبّ المسلمون المتواجدون فيه عليهم وقتلوهم جميعاً⁹¹، فعُرف مكان مصرعهم فيما بعد باسم الكونتات السبعة، كما عُرفت معركة أقليمش في الروايات النصرانية بمعركة الكونتات السبعة⁹².

والرواية الثّانية للمستشرق أشباح حيث قال أنّه من سوء الطالع أنّ الأمير سانشو دخل إلى ميدان المعركة عندما اشتد القتال بين الطرفين، فبادر إليه الأعداء متحمسين، وتقدّم الكونت غرسية أزدونش مؤدبه للدّفاع عنه، فلم يغني دفاعه شيئاً وسقط الكونت ضحية واجبه، وسقط إلى جانبه وريث مملكة قشتالة الأمير سانشو⁹³.

وهكذا تمّت الهزيمة السّاحقة على الجيش القشتالي وأحرز المسلمون نصرهم الباهر في ذلك اليوم المشهود⁹⁴، وغادر الأمير تميم ساحة المعركة إلى غرناطة، وكتب إلى أخيه أمير المسلمين علي بن يوسف بالفتح⁹⁵، وترك مهمة حصار قصبة أقليمش⁹⁶ إلى قوات مرسية وبلنسية تحت إمرة قائديها ابن عائشة وابن فاطمة⁹⁷، فلبثا على حصارها فترة، وعندما استعصت عليهم تظاهرا بالانسحاب، وبقوا على مقرية من المدينة محتبئين عن أنظار العدو، ولما خرج النّصارى من القصبة هاربين انقضّ عليهم المسلمون فقتل من قُتل وأسر الباقون، واحتلوا القصبة وبذلك تمّ استيلاؤهم على مدينة أقليمش كلها⁹⁸.

نتائج المعركة:

تُعدّ معركة أقليمش واحدة من معارك المسلمين الكبرى في الأندلس إلّا أنّها لم تنل نفس شهرة معركتي الزّلاقة والأرك⁹⁹ وإن كانت لا تقلّ عنهما بطولاً وملحمةً، وقد أكّد ذلك ابن الخطيب حينما قال عنها أنّها ثمانية الزّلاقة¹⁰⁰، وأكّد ذلك أيضاً عنان حيث

قال أنَّ هذا النَّصر السَّاحق للمرابطين أعاد بروعته ذكريات موقعة الزَّلَاقَة¹⁰¹، ويتحدث كذلك ابن عذارى عن هذا النَّصر نقلاً عن ابن الصيرفي¹⁰² بقوله "فكان ذلك دليل اليُمن والبركة بولاية علي بن يوسف في أوَّل دولته"¹⁰³، وقال أشباح بأنَّ انتصار المرابطين في أقليمش يمكن أن نعتبره ذروة سلطاتهم في الأندلس¹⁰⁴.

وهذا النَّصر المؤزر للمرابطين واضح من خلال النَّتائج المترتبة عنه كمقتل الأمير سانشو الابن الوحيد لألفونسو السَّادس وولي عهده¹⁰⁵، وكذلك مقتل سبعة من كبار قادته في المعركة، بالإضافة لمقتل الكثير من جنده، حيث يذكر ابن أبي زرع أنَّه قُتل من النَّصارى أزيد من ثلاثة وعشرون ألفاً¹⁰⁶، بينما يقول أشباح أنَّه قُتل منهم عشرون ألفاً¹⁰⁷، ويقول الأمير تميم في رسالته إلى أخيه علي أنَّه أمر عقب الموقعة بجمع رؤوس القتلى من النَّصارى¹⁰⁸ فجمعت القرية منها وتركت البعيدة، فكان عددها أكثر من ثلاثة آلاف رأس¹⁰⁹، وقد أذن من فوقها المؤذنون يوحدون الله ويكبرون وفقاً للتقليد المأثور عند المسلمين¹¹⁰.

أما عن خسائر المسلمين في الموقعة فلا نملك أرقام معينة لأنَّ المؤرخين لم يذكروا عدد قتلاهم بالتَّحديد، ويرى المؤرخ عبد الله عنان أنَّها كانت ذات شأن¹¹¹، واكتفى ابن أبي زرع بذكر عبارة أوردها في ختام كلامه عن المعركة يقول فيها "واستشهد جماعة من المسلمين رحمهم الله"¹¹²، بينما قال ابن القطان أنَّه "استشهد في هذه الواقعة الإمام الجزولي وكان رجل صدق، وجماعة من الأعيان والعربان"¹¹³ رحمهم الله تعالى¹¹⁴، ولم يذكر أشباح أيضاً عدد قتلى المسلمين ولكنه حاول أن يُنقص من قيمة النَّصر الذي أحرزه المرابطون عندما قال "بيد أنَّ المسلمين لم يحرزوا النَّصر دون خسارة فادحة، وهذا ما يفسر كونهم لم يتابعوا ظفرهم بالتَّوغل في ولاية طليطلة ولم يستولوا إلَّا على بعض المدن القريبة من أقليمش"¹¹⁵.

وبالإضافة إلى الخسائر البشرية الهائلة للنصارى في هذه المعركة، فقد تمكن المرابطون من الاستحواذ على الكثير من الغنائم بعد نهاية المعركة، وقد أكد الأمير تميم ذلك في رسالته إلى أخيه الأمير علي حينما قال "وملئت الأيدي بنيل وافي الكيل، خيلاً وبغلاً وسلاحاً ومالاً، ودروعاً"¹¹⁶، كما تمكنوا أيضاً من الاستيلاء على الكثير من الحصون والقلاع والمدن القشتالية الواقعة على مقربة من أقليمش مثل مدن قونكة، وبدة، أمستريجو، أوريواله، أقونية وقونسويجرا¹¹⁷.

خاتمة:

استطاع المرابطون من خلال هذا النصر أن يضيفوا مجداً جديداً إلى سلسلة أمجادهم بالأندلس¹¹⁸، وأن يحققوا العديد من الأهداف أهمها:

- أسهم هذا النصر إسهاماً فعالاً في رفع معنويات المسلمين بالأندلس، وفي إعلاء سمعتهم العسكرية والدفاعية¹¹⁹.

- تدعيم وتثبيت سلطان المرابطين على الأندلس بعد أن تعرض للاهتزاز أواخر عصر الأمير يوسف بن تاشفين¹²⁰.

- إيقاف حركة الاسترداد المسيحي لفترة زمنية معتبرة، حيث أصبحت مملكة قشتالة في حالة اضطراب وفوضى بالخصوص بعد وفاة ألفونسو السادس بنحو عام من المعركة¹²¹.

- فتح الطريق أمام المرابطين إلى سرقسطة ومدن الثغر الأعلى للأندلس، لأن أقليمش كانت على الطريق تحول بينهم وبين القيام بأي عمل عسكري حاسم في هذه الناحية¹²².

- شجّع هذا النصر المرابطون على وضع خطة منظمة من الغزوات على أراضي الممالك النصرانية، ذلك أنه لم يمضي عام وشهرين على موقعة أقليمش حتى عبر أمير المسلمين علي بن يوسف البحر إلى الأندلس للمرة الثانية في جيوشه الجرارة، وكان عبوره من مدينة سبتة في الخامس عشر من محرم سنة 503هـ الموافق للثالث عشر من شهر أوت 1109م¹²³؛

وقد عبر في تلك المرة بقصد الجهاد خاصة، ومحاولة استعادة طليطلة¹²⁴ والمدن المجاورة لها مثل مدينة طليطلة¹²⁵ وغيرها، وهذا ما يؤكد لنا ابن عذارى بقوله "برسم الغزو والجهاد"¹²⁶، وابن الكردبوس بقوله "قاصداً الغزو، فنزل الجزيرة بجيوش غزيرة، فقصد نحو طليطلة ونزل بابها"¹²⁷، وصاحب الخلل الموشية بقوله "برسم الجهاد، ونصر الملة، وإعزاز الكلمة، فقصد طليطلة ونزل على بابها"¹²⁸، وابن القطان الذي قال "تحرك علي بن يوسف غازياً في حفل عظيم من الجند والملثمين وجماعة المطوعين نحو طليطلة"¹²⁹.

الهوامش:

1- هو علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني ولد سنة 477هـ/1084م يُكنى بأبي الحسن، تولى الخلافة بعد أبيه بعهد منه سنة 500هـ/1106م وعمره ثلاثة وعشرون سنة، وكان ملكاً، فاضلاً، كريماً سلك طريقة أبيه في أموره كلها فتح فتوحاً عظيمة في المغرب والأندلس، واستمر على ذلك إلى غاية وفاته سنة 537هـ/1143م. (انظر: ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1998م، ط5، ج4، ص48؛ مجهول: الخلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م، ط1، ص84؛ الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م، ط7، مج5، ج5، ص33).

2- عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ط4، ص372.

3- اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاة الأمير يوسف بن تاشفين بدقة حيث يذكر ابن خلكان أنه توفي يوم الاثنين الثالث محرم سنة 500هـ/3 سبتمبر 1106م ويذكر كل من ابن عذارى وابن الخطيب أنه توفي يوم الاثنين مستهل محرم سنة 500هـ/1106م، وهو التاريخ الذي ذكره صاحب الخلل الموشية ولكنه لم يذكر اليوم، بينما يرى ابن أبي زرع أنه توفي يوم الأحد الثاني محرم سنة 500هـ/2 سبتمبر 1106م، ويرى المراكشي أنه توفي في شهر عام 493هـ/1099م وهذا التاريخ غير صحيح بالنظر لصيرورة الأحداث التاريخية ولأن المراكشي ينفرد لوحده بذكر هذا التاريخ. (انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،

1994م، مج7، ص125 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص45 ؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م، ط2، مج4، ص353 ؛ الحُلل الموشية، ص83 ؛ ابن أبي زرع: الأنياس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص156 ؛ المراكشي: المُعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ط1، ص121).

4- هو أبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين، تولى حكم غرناطة بين سنتي (500هـ و503هـ/1106 و1109م) ثم نُقل إلى حكم تلمسان سنة 504هـ/1110م، ثم تولى مرة أخرى غرناطة فيما بين سنتي (515 و516هـ/1121 و1122م)، وبعدها نُقل إلى إشبيلية فحكمها سنة وبضعة شهور، ثم أصبح عاملاً على قرطبة وغرناطة سنة 519هـ/1125م ويبدو أن أخاه علياً قد عزله عن غرناطة بعد ذلك بقليل، وفي تاريخ وفاته خلاف والأرجح أنه توفي سنة 520هـ/1126م. (انظر: ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبّادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م، ص114 هامش 1 ؛ ابن القطان: نُظُم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزّمان، درسه وقَدّم له وحقّقه محمود علي مكّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ط1، ج6، ص65-66، هامش 5 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص48 وما بعدها).

5- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص157 ؛ السّلاوي: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدّولتان المرابطيّة والموحّديّة، تحقيق جعفر النّاصري ومحمد النّاصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م، ج2، ص55-56. (غير أنّ أشباخ يقول بأنّ الأمير علي عندما بويع بإمارة المرابطين لم يكن قد جاوز الثّانيّة والعشرين من عمره). (انظر: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين، ترجمة وتعليق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م، ط2، ج1، ص121).

Gaid Mouloud: **Les Berbers dans l'histoire en Espagne Musulmane à partir de 711**, les éditions Mimouni, Alger, 2008, tome 4, p135-136 .

6- أته البيعة أيضًا من الخليفة العباسي المستظهر بالله (487-512هـ/1094-1118م) وقد أورد صاحب الخلل الموشية رسالة عبارة عن جواب من الخليفة العباسي للأمير علي بعته له عام 512هـ/1118م يُقره فيه أميرًا على المرابطين واصفًا إياه بمقيم الدولة العباسية وزعيم جيوشها المغربية، وقد طلب منه الاستمرار في الجهاد في سبيل الله، والرسالة أوردها أيضًا حسين مؤنس وذكر أنها غير مؤرخة والمرجح عنده أنها كتبت في بداية إمارة علي في أوائل محرم 500هـ/سبتمبر 1106م جوابًا على كتاب أرسله علي طلبًا للبيعة والتقليد كما يفهم من النص. (عن نص رسالة الخليفة العباسي المستظهر بالله إلى علي بن يوسف). (انظر: الخلل الموشية، ص 87-88؛ حسين مؤنس: سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، 2000م، ط1، ص 12 وما بعدها). (وعن نص رسالة علي بن يوسف إلى الخليفة العباسي المستظهر بالله). (انظر: سلامة محمد سلمان الهري، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين - دراسة سياسية وحضارية، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1985م، ص 403-404).

7- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 158؛ السلاوي، الإستقصا، ج 2، ص 56.
8- امتنع عن البيعة لأنه كان يرى بأنه أولى وأجدر بخلافة جده يوسف، ولكنه اضطر إلى الفرار من فاس عندما أدرك أنه لا طاقة له بحرب الأمير علي الذي اتجه نحوه بجيش من مراكش فدخل مدينة فاس يوم الأربعاء الثامن من شهر ربيع الآخر سنة 500هـ/7 ديسمبر 1106م. وهناك رواية أخرى لكيفية فرار الأمير يحي مفادها أن الأمير علي عندما اقترب من فاس نزل بمدينة مغيلة وكتب لابن أخيه يحي وأشياخ البلد كتابًا يدعوهم للدخول في طاعته، ولكن يحي فرَّ إلى مَرْدَلِي عامل المرابطين على تلمسان فلقية بواد ملوية فضمن له العفو والصلح من عمه علي، فعفا عنه وخيره السكن بجزيرة ميورقة أو الصحراء، فانصرف إلى الصحراء ثم حج بيت الله الحرام ورجع إلى عمه فاستأذنه بالاستقرار بمراكش فأذن له، وبعد ذلك اتهمه بالقيام عليه وبعثه إلى الجزيرة الخضراء بالأندلس فبقي بها إلى أن مات. (انظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 158-159).

Coissac De Chavrebière: **Histoire du Maroc**, librairie dar al aman, Rabat, Première édition, 2012, p188 ; Gaid Mouloud: **Les Berbers dans l'histoire les Mourabitines d'hier et les Marabouts d'aujourd'hui**, les éditions Mimouni, Alger, tome 7, p30-31 .

9- الخلل الموشية، ص 84.

10- أهل القبلة أي أهل جنوب الغرب وهو اصطلاح شامي جُلب إلى المغرب وطُبّق فيه، ذلك أنّ قبلة أهل الشام إلى الجنوب. (انظر: **الحُلل الموشية**، ص83، هامش 72).

11- بحثت في مختلف المصادر الجغرافية والتاريخية ولكنني لم أوفق في إيجاد تعريف له، ويظهر جلياً بأنّه سُمي بهذا الاسم لأنّه يحوي داخله الكثير من الذهب، وكما هو معلوم في بلاد السودان الغربي ومدنه المشهورة غانة وتكرور وأودغست وغيرها معروفة بغناها بهذا المعدن النفيس.

12- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص157.

13- ابن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبّادي ومحمّد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م، ص253.

14- يذكر المُرّاكشي بأنّ الأمير علي بن يوسف جرى على سنن أبيه في إثارة الجهاد وإخافة العدوّ وحماية البلاد. (انظر: **المُعجب**، ص121).

15- (la Reconquista) هي تسمية أطلقها المؤرخون المحدثون على مجموعة العمليات العسكرية التي نفذها النصارى الصليبيين بالأندلس منذ بداية القرن الأوّل الهجري حتّى نهاية القرن التاسع الهجري، وقد برزت هذه الحروب جلياً في عهد أمراء الطوائف مع مطلع القرن الخامس الهجري، واستفحلت في عهد المرابطين والموحّدين وبني نصر. (انظر: إدوارد بروي وآخرون: **تاريخ الحضارات العام القرون الوسطى**، نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2003م، مج3، ص311-312؛ عليّ أحمد: **ظهور حركة الاسترداد بالأندلس وتطورها حتّى نهاية القرن التاسع الهجري ودور المغاربة في كبح جماحها**، مقال منشور ضمن مجلة الدّراسات التّاريخية، لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، السنة السّادسة، العددان (97-98)، 2007م، ص189 وما بعدها).

Ernest Weibel: **Occident-Maghreb 13 siècles d'histoire**, Ellipses édition Marketing S.A, Paris , 2010, p93-94 .

16- (Uclés) مدينة لها حصن في ثغر الأندلس، تقع شمال شرق طليطلة وهي من أعمال شنتبرية، ذكرتها أغلب المصادر الإسلامية باسم أُقْلِيش في حين وردت عند كلٍّ من ابن أبي زرع وابن الخطيب باسم أُقْلِيج، ويذكر المستشرق ميراندا أنّها كانت تدعى قديماً سيلتبيرية ثمّ عُرفت باسم باغوس أو كولنيسيس فتحول هذا الاسم إلى أُقْلِيش، بينها وبين مدينة وبدة ثمانية عشر ميلاً ومنها إلى

شقورة ثلاث مراحل، لها أقاليم ومزارع عامرة، ذكر الحِميري أنَّ الذي بناها من المسلمين هو الفتح بن موسى بن ذي النون وفيها كانت ثورته وظهوره سنة 160هـ/776م واتخذها دارًا وقرارًا، وهذا التاريخ خطأ لأنَّ ثورة الفتح بن موسى بن ذي النون حدثت في مستهل عهد الخليفة الأموي عبد الرَّحمان النَّاصر الذي حكم ما بين (300-350)هـ/(912-962)م وبالتالي تأسيس أقليم كان مع بداية القرن الرَّابع الهجري، واستمرت أسرة بني ذي النون في حكمها إلى أن استولى عليها ألفونسو السَّادس بعد سقوط طليطلة سنة 478هـ/1085م. (انظر: الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 287؛ روض القرطاس، ص 159؛ أعمال الأعلام، ص 253؛ الحِميري: الرُّوض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عبَّاس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ط 1، ص 51-52؛ ميراندا أمبروسيو هويشي: وقعة أقليم ومصرع الأمير ضون شانجه، مقال منشور بمجلة تطوان للأبحاث المغربية الأندلسية، مطبعة كرماديس، تطوان، المغرب، العدد الثَّاني، 1957م، ص 121-122؛ عنان محمَّد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثَّالث - عصر المرابطين والموحَّدين في المغرب والأندلس - القسم الأوَّل - عصر المرابطين وبداية الدولة الموحَّدية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1990م، ص 61). (انظر أيضًا: الخريطة المرفقة بالمقال).

17- حدثت معركة الزَّلَاقَة (Zalaca) يوم الجمعة 12 رجب سنة 479هـ/23 أكتوبر 1086م بقيادة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين خلال عبوره الأوَّل إلى بلاد الأندلس لنجدة إخوانه المسلمين الذين عانوا من زحف الصَّليبيين على بلادهم بقيادة ألفونسو السَّادس خاصة بعد سقوط طليطلة سنة 478هـ/1085م وقد أسفرت هذه المعركة على انتصار باهر للمسلمين تمكنوا من خلاله من دحر القوَّات الصَّليبية وإيقاف زحفها الجارف على الأندلس بعد أن كان يندرها بالحو والفناء، وقد عمَّت الأفراح أرجاء العالم الإسلامي بهذا النَّصر العظيم وشبهه يوم الزَّلَاقَة بيوم اليرموك والقادسيَّة وارتفع شأن المرابطين وأميرهم يوسف بن تاشفين؛ والزَّلَاقَة في الأصل هو موضع صغير يسمى اليوم (Sagrajas) على أحد نحيات واد آنة المسمى نهر جييرو (Guerrero) على نحو اثنا عشر كيلومتر شمال مدينة بطليوس بغرب الأندلس. (انظر: ابن الأثير: الحُلَّة السَّيِّراء، حَقَّقَه وعَلَّقَ حواشيه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ط 2، ج 2، ص 101؛ ابن عذارى، البيان المُغرب، ج 4، ص 138 وما بعدها؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج 4، ص 351 وما بعدها؛ الحموي: مُعجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1979م، مج 3، ص 146؛ الحِميري، الرُّوض المعطار، ص 291 وما بعدها).

- 18- حمدي عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، 2008م، ص 153 .
- 19- نفسه.
- 20- البيان المغرب، ج4، ص 48 .
- 21- الخلل الموشية، ص 85 ؛ البيان المغرب، ج4، ص 48 .
- 22- يذكر صاحب الخلل الموشية أنَّ غرض الأمير علي من العبور إلى الأندلس هو تفقد حالها وسدَّ خللها. (انظر: الخلل الموشية، ص 85).
- 23- أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج1، ص 122 .
- 24- بادر الأمير علي بن يوسف بعد توليه السلطة بمدة يسيرة في منتصف عام 500هـ/1106م إلى نقل عاصمة الأندلس من قرطبة إلى غرناطة لأسباب إستراتيجية وأمنية أهمها: أنَّ معظم سكان غرناطة كانوا من الأمازيغ (البربر) فهم أكثر انقيادًا وتعاطفًا مع أبناء جلدتهم من الأندلسيين، وأنها من الناحية العسكرية أقرب إلى مسرح العمليات الحربية التي كانت تقوم بها القوات المرابطية في شرق الأندلس، كما أنها أقرب إلى بلاد المغرب مصدر التموين والإمداد للمرابطين في الأندلس. (انظر: حسين مؤنس: الشجر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/1118م - مع أربع وثائق جديدة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1413هـ/1992م، ص 19 ؛ سلامة محمد سلمان الهري، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، ص 188-189).
- 25- Gaid Mouloud : **Les Berbers dans l'histoire en Espagne Musulmane**, p136 .
- 26- اختلف المؤرخون في ذكر اسمه حيث يسميه الأمير تميم في رسالته للأمير علي عقب فتح أقليمش أبو عبد الله محمد بن أبي زنغي، وجاء عند ابن القطان باسم ابن أبي زنغي في حين سماه صاحب مفاخر البربر أبو عبد الله محمد بن أبي زنفي، وجاء عند ابن زرع باسم محمد بن أبي زلفي، وجاء عند المستشرق ميراندا أمبروسيو هويثي وبعض المراجع الحديثة باسم ابن أبي رنق، واتفقوا جميعًا على أنَّه والي قرطبة بعد محمد بن الحاج وهو الأصح حسب اعتقادي بالنظر إلى ذكر مشاركته في المعركة كوالي وقائد جيوش قرطبة، غير أنَّ ابن عذارى يخالفهم الرأي ويقول أنَّ الذي تولى قرطبة بعد ابن الحاج هو أبا عبد الله محمد بن أبي بكر اللمتوني. (انظر: نظم الجمان ج6، ص 65، هامش 1 ؛ مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوبايا، دار أبي رراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2005م، ص 190 ؛ روض القرطاس، ص 157-158 ؛ البيان المغرب، ج4، ص 48-49 ؛

وقعة أفليش ومصرع الأمير ضون شانجه، ص122 ؛ عنان، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، ص64). (وعن نص رسالة الأمير تميم، انظر: الملحق رقم1).

27- سماه صاحب مفاخر البربر أبو عبد الله محمد بن الحاج مرةً وسماه مرةً أخرى بن عبد الله بن الحاج، وجاء عند ابن أبي زرع باسم أبو عبد الله بن الحاج في موضع وفي موضعٍ آخر محمد بن الحاج، وابن عذارى يسميه محمد بن الحاج، وصاحب الحُلل الموشيةً يسميه أبا عبد الله بن الحاج واسمه الصحيح هو أبو عبد الله محمد بن الحاج وهو المشهور بابن الحاج، يعتبر من كبار الولاة والقادة العسكريين في عهد الأمير يوسف بن تاشفين وابنه علي، تولى قرطبة في أواخر عهد الأمير يوسف وعندما تولى علي عزله منها و و لاه سنة 501هـ/1108م مدينة فاس وسائر أعمال المغرب مدة ستة أشهر، ثم نقله إلى بلنسية في أواخر سنة 501هـ/1108م حسب ابن أبي زرع وسنة 503هـ/1110م حسب ابن عذارى وهو الأصح بالنظر إلى صيرورة الأحداث، استشهد في إحدى غزواته في برشلونة سنة 508هـ/1114م حسب ابن أبي زرع أو سنة 509هـ/1115م حسب ابن عذارى. (انظر: مفاخر البربر، ص189 وما بعدها ؛ روض القرطاس، ص157 وما بعدها عدة صفحات ؛ البيان المغرب، ج4، ص48 وما بعدها ؛ الحُلل الموشية، ص72).

28- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص159 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص48 .

29- ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص49 .

30- ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص49 .

31- ذكر ابن عذارى أنَّ والي قرطبة محمد بن الحاج عندما تولى علي بن يوسف الإمارة بعد أبيه بقي في قرطبة تحت الخمول أي أنه تملكاً في بيعته وأراد القيام عليه، ولكن بعد مدة قصيرة من محاولة تمرده قُبض عليه سنة 500هـ/1107م، ثم عفا عنه و و لاه علي سنة 501هـ/1108م مدينة فاس وسائر أعمال المغرب مدة ستة أشهر، ثم نقله إلى بلنسية في أواخر سنة 501هـ/1108م حسب ابن أبي زرع وسنة 503هـ/1110م حسب ابن عذارى. (انظر: البيان المغرب، ج4، ص48-49 ؛ روض القرطاس، ص157 وما بعدها).

32- سلامة محمد سلمان الهرقي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، ص189-190 .

33- سلامة محمد سلمان الهرقي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، ص189 .

34- (Alphonse VI) تُسميه المصادر الإسلامية الأذفنش أو الأذفونش وأحياناً الفُنش، وهو ابن فرديناند الأول، ولد سنة 421هـ/1030م وكان رجلاً طموحاً قضى على مُلك إخوته وأعلن نفسه إمبراطوراً على ليون، قشتالة، جليقية ونافاراً، استولى على مدينة طليطلة سنة 478هـ/1085م، تعرض لهزيمة قاسية من قبل أمير المرابطين يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة سنة

479هـ/1086م، استمر في حرب المسلمين بالأندلس إلى غاية وفاته بطليطلة في شهر ذي الحجة سنة 502هـ الموافق لشهر جويلية 1109م وقد مات همًا وحزنًا على أثر مقتل ابنه الوحيد سانشو (شأنجه) في معركة أقليمش (Uclés) سنة 501هـ/1108م. (انظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص50 وما بعدها ؛ ميراندا أمبروسيو هويشي، وقعة أقليمش ومصرع الأمير ضون شأنجه، ص115 ؛ الزركلي: الأعلام، مج6، ص181 ؛ سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1967م، ط2، ص435).

35- ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص44-45 .

36- يرى المستشرق الألماني أشباخ أنّ هدف الأمير تميم من وراء هذه الغزوة ضدّ النصارى هو إظهار مدى قدرته على تولي العرش فهو لم يكن أقلّ صلاحية من أخيه الأصغر علي، وأرى أنّ هذا الأمر غير صحيح فقد ذكر صاحب الحلل الموشية أنّ الأمير تميم حضر في قرطبة بالأندلس في شهر ذي الحجة سنة 496هـ/سبتمبر 1103م اجتماع عقده والده يوسف رفقة أمراء وفقهاء المرابطين ورؤساء الأندلس لمبايعة علي بالإمارة بعد أبيه، وقد بايع تميم مع المبايعين ولم يبدي أي اعتراض، كما ذكر كل من ابن أبي زرع وابن عذارى أنّ الأمير تميم كان أوّل من بايع أخيه علي بالإمارة عند وفاة أبيه، وأمر باقي المرابطين بمبايعته، فلم يعارض على الإطلاق أمر تولية أخيه علي للعرش لأنّه لم يرى أنّه أحق منه بالإمارة، كما أنّه لم يخرج عليه مطلقًا وبقي يعمل تحت إمرته إلى غاية وفاته سنة 520هـ/1126م. (أنظر: الحلل الموشية، ص77-78 ؛ روض القرطاس، ص158 ؛ البيان المغرب، ج4/48 ؛ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، 1/122).

37- يتحدث الأمير تميم في رسالته إلى أخيه علي عن عزيمة جيشه المتجه لقتال العدو بقوله "جيش" تصم كواهله، وتطم كواهله، راياته خافقة، وعزماته صادقة، ونبراته على السنة السعد ناطقة". (عن نص الرسالة، انظر: الملحق رقم 1).

38- ميراندا أمبروسيو هويشي، وقعة أقليمش ومصرع الأمير ضون شأنجه، ص122 ؛ عنان، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحّدية، ص61. (انظر أيضًا: الملحق رقم 1).

39- ابن عذارى، البيان المغرب، ج4/49 ؛ ميراندا أمبروسيو هويشي، وقعة أقليمش ومصرع الأمير ضون شأنجه، ص122.

40- هو الأمير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين، نُسب إلى أمه عائشة فأصبح يدعى محمد بن عائشة، وأمه امرأة حرة لهذا حمل اسمها، وكان قائدًا مظفرًا ارتبط اسمه بمقاتلة النصارى في الأندلس، كان واليًا على مرسية إثر وفاة أبيه، وتألّق نجمه كفائد محنك في عهد أخيه علي، حيث شارك في

العديد من المعارك في الأندلس كمعركة أقليم سنة 501هـ/1108م، وشارك مع محمد بن الحاج في غزو برشلونة سنة 508هـ/1114م وأصيب في بصره، اعتل بعدها ثم لم يلبث أن غمي، فاستدعاه أخوه أمير المسلمين علي إلى مراكش، وعين بدلاً عنه على مرسية أخاه إبراهيم بن يوسف. (انظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص 101-102 هامش 4؛ ابن القطان، نظم الجمان، ج 6، ص 65 هامش 2؛ عبد الحق حموش: ابن تاشفين، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت، ص 31؛ الصلابي، علي محمد: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، مكتبة الصحابة، الإمارات، مكتب التابعين، القاهرة، ط 1، 2001م، ص 67).

41- هو أحد مشاهير قادة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين وابنه علي، يُعرف في المصادر التاريخية بابن فاطمة، ورد اسمه الكامل بصيغ مختلفة منها محمد بن فاطمة وأبا محمد بن فاطمة وأبو عبد الله محمد بن فاطمة، وأحياناً يسمى عبد الله بن محمد بن فاطمة، وتذكره أغلب المراجع الحديثة باسم محمد بن فاطمة، والأرجح أن اسمه الصحيح حسب المؤرخ محمود علي مكي هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن فاطمة. شارك في معارك عديدة بالأندلس ضد النصارى، وتولى أمر بعض مدنه المشهورة مثل بلنسية سنة 497هـ/1104م، ثم غرناطة سنة 503هـ/1109م، ثم انتقل بعد ذلك إلى فاس بالمغرب عاملاً عليها سنة 504هـ/1110م، وفي سنة 509هـ/1115م عاد إلى الأندلس عاملاً على إشبيلية فحكمها حتى توفي في رمضان سنة 511هـ/جانفي 1118م. (انظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص 112 هامش 2؛ ابن القطان، نظم الجمان، ج 6، ص 65 هامش 3؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 160؛ مفاخر البربر، ص 190؛ محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م، ط 1، ص 46 وما بعدها).

42- يذكر أغلب المؤرخين بأن تاريخ معركة أقليم كان في شهر شوال عام 501هـ/ماي 1108م منهم ابن الكردبوس وابن القطان وابن عذارى والمستشرق ميراندا، وهو الرأي الأصح حسب اعتقادي بالنظر إلى سيورة الأحداث التاريخية، غير أن ابن أبي زرع ذكر تاريخاً مخالفاً واعتبر أن المعركة حدثت عام 502هـ/1109م. (انظر: تاريخ الأندلس، ص 114؛ نظم الجمان ج 6، ص 63؛ البيان المغرب، ج 4، ص 49-50؛ روض القرطاس، ص 159؛ وقعة أقليم ومصرع الأمير ضون شانجه، ص 122).

43- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 160؛ السلاوي، الإستقصا، ج 2، ص 57.

44- يذكر ابن عذارى أن مدينة أقليم اضطرت المحلات بإزائها وانتشرت الحروب عليها إلى أن دخلها المرابطون عنوة. (انظر: البيان المغرب، ج 4، ص 50).

45- يذكر المستشرق ميراندا أنَّ القوَّات المِرابِطِيَّة لما دخلت مدينة أفلش أحرقت كنائسها وجعلت بعضها مساجد بعد أن نُهبت ثروتها، ويؤكد ذلك المؤرخ عنان حيث قال بأنَّ القوَّات المِرابِطِيَّة قوَّضت صروح المدينة وهدَّمت كنائسها ودكَّت هياكلها. (انظر: وقعة أفلش ومصرع الأمير ضون شانجه، ص122 ؛ عصر المِرابِطين وبداية الدَّولة الموحَّديَّة، ص61-62).

46- عنان، عصر المِرابِطين وبداية الدَّولة الموحَّديَّة، ص62. (انظر أيضًا: الملحق رقم 1).

47- ميراندا أمبروسيو هويشي، وقعة أفلش ومصرع الأمير ضون شانجه، ص122. (ويذكر الأمير تميم في رسالته إلى أخيه علي فرار النَّصارى إلى قصبة المدينة بقوله "وعادت بقاياهم بقصبة المدينة فولوجوها، كما يلج العصفور، ويقوم العشور، قد غلقوا الأبواب، وأسدلوا الحجاب" وقال أيضًا "وتضامت تلك العصبة إلى تلك القصبة والقوم في السَّجن والحصر". (عن نص الرِّسالة، انظر: الملحق رقم 1).

48- أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المِرابِطين والموحَّدين، ج1، ص122.

49- يذكر الأمير تميم في رسالته إلى أخيه علي عن استعداد ملك قشتالة لحرب المِرابِطين بقوله "وكان الطاغية ألفونسو السَّادس زاده الله دُلًّا قد حشد أقطاره وحشر أنصاره، وأبعد في الاستصراخ مضماره، وعبأ جيشًا قد أسرا إلى ذمر، وانطوى على غمر. (عن نص الرِّسالة، انظر: الملحق رقم 1).

50- (Zaida La Mora) أو (Ceida) ادعت الرِّوايات النَّصرانيَّة أنَّها ابنة المعتمد بن عبَّاد أمير إشبيلية السَّابق والتي أهداها لألفونسو السَّادس لكي يخلصه من المِرابِطين، وهو ادعاء غير صحيح حيث أكد ابن عذارى وغيره من المؤرخين بأنَّها الزوجة السَّابقة للفتح بن المعتمد بن عبَّاد الملقب بالمأمون حاكم قرطبة عندما استولى عليها المِرابِطون سنة 484هـ/1091م، وقد فرت إلى حصن المدور ثمَّ إلى قشتالة فتنصرت وتزوجت ألفونسو السَّادس وأنجبت منه ولده الوحيد سانشو (Sancho) الذي قتل في معركة أفلش سنة 501هـ/1108م. (انظر: البيان المغرب، ج4، ص50 ؛ ابن خاقان: فلاند العقيان في محاسن الأعيان، قدم له ووضع فهارسه محمَّد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص22 ؛ أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المِرابِطين والموحَّدين، ج1، ص123 ؛ عنان، دول الطوائف، ص345 وما بعدها).

51- (Sancho) سانشو أو شانجه كما تذكره المصادر الإسلاميَّة، ويسميه ميراندا "ضون شانجه"، وهو الولد الوحيد لملك قشتالة ألفونسو السَّادس من زوجته زائدة المسلمة التي كانت قد فرت إلى قشتالة وتنصرت بعد مقتل زوجها الفتح بن المعتمد بن عبَّاد الملقب بالمأمون على يد المِرابِطين عند دخولهم قرطبة عام 484هـ/1091م. (انظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص114، هامش 3 ؛

ابن عذارى، البيان المغرب، 50/4 ؛ وقعة أقليمش ومصرع الأمير ضون شانجه، ص115 وما بعدها).

Gaid Mouloud: **Les Berbers dans l'histoire les Mourabitines d'hier et les Marabouts d'aujourd'hui**, p31.

52- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص160. (يتفق أشباخ مع ابن أبي زرع في اعتبار أن زوجة ألفونسو السادس زائدة هي التي أشارت على زوجها بأن يبعث ولده الوحيد سانشو لقتال المسلمين بدلاً عنه، ويقول أن السبب وراء ذلك هو إثارة حماسة الجند، غير أن ميراندا ينفي هذا الأمر ويقول بأن ابن أبي زرع يوغل في ميدان الخيال عندما يقول أن الأمير سانشو قد انتخب بطلب من أمه ليخلف أباه في قيادة الجيش القشتالي). (انظر: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج1، ص122-123 ؛ وقعة أقليمش ومصرع الأمير ضون شانجه، ص122).

53- اختلف المؤرخون في تحديد سن سانشو ولد ألفونسو السادس، حيث ذكر أشباخ وعنان بأنه يبلغ من العمر حوالي إحدى عشر سنة، بينما يقول برنارد لوقان (Bernard Lugan) وأحمد مختار العبادي في تحقيقه لكتاب ابن الكردبوس ومحمود علي مكي في تحقيقه لكتاب ابن القطان أنه كان في حوالي خمسة عشرة سنة. (انظر: تاريخ الأندلس، ص114، هامش 3 ؛ نظم الجمان، ج6، ص64، هامش 1 ؛ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، 123/1؛ عصر المرابطين وبداية الدولة الموحّدية، ص62).

Bernard Lugan: **Histoire du Maroc des origines à nos jours**, Critérion, Paris, 1992, p73.

54- أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج1، ص122-123. (يبدو أن إثارة حماسة الجند تكمن في أن ألفونسو السادس أثار عاطفة جنده بتشجيعهم على القتال بإرساله لولده الوحيد رغم صغره سنه إلى ميدان المعركة ولا يخشى فقدانه لأنه يدرك جيداً بأن الجند سيستمتون في الدفاع عنه، وقد أشار إلى ذلك عنان بقوله لكي يثير منظره الفتي حماسة الجند). (انظر: عصر المرابطين وبداية الدولة الموحّدية، ص62).

55- أخطأ ابن أبي زرع في قوله بأن الأمير تميم هو ابن ملك المسلمين، والأصح أن الأمير تميم آنذاك كان أخ ملك المسلمين علي بن يوسف وليس ابنه، وتمام معروف بأنه ابن يوسف بن تاشفين أمير المرابطين السابق الذي توفي سنة 500هـ/1086م. (انظر: روض القرطاس، ص160).

56- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص160. (بالإضافة إلى عجز ألفونسو السادس وشيخوخته، وكذلك إثارة حماسة الجُند، فمن المرجَّح أنَّه كان هناك سبب آخر لإرسال ألفونسو السادس لولده الوحيد لحرب المرابطين يتمثل في مؤامرة دبّت من بعض عملاء ألفونسو المحارب الذين أقتنوا ألفونسو السادس بإرسال ولده للحرب ليتخلصوا منه ويخلّوا الجو لألفونسو المحارب فيضمّ قشتالة إلى ملكه، وإلا كيف نفسّر سعي أعيان ووجهاء قشتالة بعد فترة وجيزة من وفاة ألفونسو السادس لزواج ابنته وولية عهده دونيا أوراكا من ألفونسو المحارب، وبعد إتمام الزواج في شهر صفر سنة 503هـ/سبتمبر 1109م اتحدت مملكتي قشتالة وأراغون). (انظر: سلامة محمّد سلمان الهري، **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف**، ص196).

57- سماه تميم في رسالته غرسية أوردونش (Garcia Ordonez) وسماه ابن القطان غرسيا ردونس المدعو بالفم المعوج، وجاء عند أشباخ باسم جارسيا دى كبرا (قبره) بينما جاء عند المستشرق ميراندا باسم غرسيا أوردونيث وقال بأنّه ملقب بالفم الأعور، في حين ورد عند عنان في الصفحة أربعة وستون باسم غرسية أروينث كونت دى قبره، وفي الصفحة الموالية غرسية أروينث (أردونش) أو الكونت دى قبره، وقد كان قائداً قشتاليّاً من فرسان شانجه الثاني ملك ليون، ثمّ أصبح من أتباع ألفونسو السادس ملك قشتالة، وكان من المدافعين عن حصن ليط حينما قام المرابطون بحصاره، ولقى مصرعه في وقعة أقليمش هذه. (انظر: **نظم الجمان ج6**، ص64، هامش2؛ **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين**، 1/123؛ **وقعة أقليمش ومصرع الأمير ضون شانجه**، ص116 وما بعدها؛ **عصر المرابطين وبداية الدولة الموحّدية**، ص64-65). (وعن نص رسالة تميم إلى أخيه علي. انظر: **الملحق رقم 1**).

58- (Alvarhanes) أو (Alvar Fanez) ورد اسمه باللغة العربيّة بصيغ مختلفة منها ألبارهانس وألبرهانش وألبارفانيث، وألفار فانيث وهو من أكبر قُواد ألفونسو السادس، وهو ابن أخ السيد القميّطور (Le Cid El Campeador) شارك في العديد من المعارك ضدّ المسلمين كالزلاقة وأقليمش وغيرها، كانت وفاته سنة 507هـ/1114م على يد أهل شقوبية في المعارك الدائرة بين ألفونسو المحارب صاحب أراغون، وأوراكا صاحبة ليون وقشتالة. (انظر: ابن القطان: **نظم الجمان ج6**، ص64، هامش2؛ ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص145؛ ميراندا أمبروسيو هويشي، **وقعة أقليمش ومصرع الأمير ضون شانجه**، ص123).

59- عُرفت معركة أقليمش في الرّوايات النّصرايّة بمعركة الكونتات السّبعة أو الأكناد السّبعة أو الأقطاب السبعة أو القوامس (الأقماط) السّبعة (Batalla de Los Siete Condes) لأنّه شارك فيها سبعة من كبار فرسان النّصارى وهلكوا فيها، فبالإضافة إلى الكونت غرسية أوردونش

وألبرهانس فقد شارك أيضًا القمط بقبدره وقادة كبار من طليطلة وصاحب قلعة النصور وقلعة عبد السلام. (انظر: **نظم الجمان** ج6، ص64، هامش2؛ ميراندا أمبروسيو هويشي، **وقعة أقليمش ومصرع الأمير ضون شانجه**، ص123؛ عنان، **عصر المرابطين وبداية الدولة الموحّدية**، ص536؛ حسين مؤنس، **الثغر الأعلى**، ص20؛ عبد العزيز شاكي: **التطور السياسي لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف (500-537هـ/1106-1143م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 2، قسم التاريخ، 2011م، ص140-141). (انظر أيضًا: **الملحق رقم 1**).

- 60- أشباح، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين**، ج1، ص123.
- 61- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص160؛ السلاوي، **الإستقصا**، ج2، ص57.
- 62- لم تقدم الروايات التاريخية بيانات كافية عن عدد الجيشين المتحاربين، فقد سكّنت الروايات النصرانية ولم تذكر عدد الجيوش القشتالية، وملك روايتين إسلاميتين تحددان عدد جيوشهم الأولى تقدره بعشرة آلاف وهي لابن القطان والثانية تقدره بسبعة آلاف فارس وهي لابن عذارى، ولم يذكر ابن أبي زرع عدد الجيوش قبل بداية المعركة واكتفى بذكر عدد القتلى بعد نهاية المعركة وقال بأنه قتل منهم أكثر من ثلاثة وعشرون ألف، وبالنسبة لعدد جيش المسلمين فلم تحدده المصادر التاريخية، وقد اجتهد عنان محمد عبد الله باستنتاج عدده وقال أنهم كانوا في نحو ستة آلاف فارس. ومن المؤكد أن عدد جيش النصارى أكبر بكثير من جيش المسلمين والدليل على ذلك إحجام تميم في البداية عن لقائه وتوجسه من تفوقه العددي. (انظر: **نظم الجمان** ج6، ص64؛ **البيان المغرب**، ج4، ص50؛ **روض القرطاس**، ص160؛ **عصر المرابطين وبداية الدولة الموحّدية**، ص63-64).
- 63- من المؤكد أن الأمير تميم لم يكن خائفًا من مجابهة العدو لأنه يفتقد للشجاعة، فهذا الأمر مُستبعد من قائد عسكري محنك كان له صولات وجولات في حرب النصارى في عهد والده يوسف بن تاشفين، والأكد أنه كان يدرك خطورة الموقف فمن الضروري الحيلة والحذر وعدم الاستهانة بقدرات العدو، ولأن جيش المسلمين كان قليلًا بالمقارنة مع جيش ألفونسو السادس، ولأن مدينة أقليمش بعيدة نسبيًا عن مدن المسلمين ومراكز الإمداد وهي قريبة من حصون وقلاع النصارى، كما أن جيوشهم تحاصر المرابطين من كل جانب والدليل على ذلك قول ابن أبي زرع "فلم يجد سبيلًا للفرار ولا للزوغ مخلصًا" وقول أشباح وكانت حال الجيش المرابطي مع ذلك تدعو إلى التوجس واليأس لأنه إذا لم يوفق إلى الظفر فقد سُدَّت في وجهه جميع سبل الفرار. (انظر: **روض القرطاس**، ص160؛ **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين**، 1/123).

64- ذكر ابن زرع في هذا الموضوع أنَّ عدد جيوش النَّصارى هو ثلاثة آلاف فارس، ولكن هذا غير صحيح فقد ذكر ذلك نقلاً عن كبار قادة المرابطين الذين تعمدوا عدم ذكر العدد الكبير للجيش القشتالي لكي يهونوا الأمر على الأمير تميم ويشجعوه على صدِّ هذه الجيوش. (انظر: روض القرطاس، ص 160).

65- روض القرطاس، ص 160 .

66- عن نص رسالة الأمير تميم. (انظر: الملحق رقم 1).

67- ميراندا أمبروسيو هويثي، وقعة أقليم ومصرع الأمير ضون شانجه، ص 123 ؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 161 ؛ سلامة محمد سلمان الهرقي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، ص 193 .

68- ميراندا أمبروسيو هويثي، وقعة أقليم ومصرع الأمير ضون شانجه، ص 123 ؛ عنان، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحَّدية، ص 64 ؛ سلامة محمد سلمان الهرقي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، ص 193.

Coissac De Chavrebière: **op.cit**, p189 .

69- مِنْ حَبَأَ، وَحَبَأَ الشَّيْءَ يَحْبُوهُ حَبَأً أَيْ سَتَرَهُ، وَالْحَبَأُ: مَا خُيِّ، وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ غَائِبٍ مَسْتُورٍ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: حَبَأَهُ خَيْرٌ مِنْ يَفَعَهُ سَوْءٌ، أَيْ بَنَتْ تَلَزُمُ الْبَيْتِ تَحَبُّاً نَفْسَهَا فِيهِ، خَيْرٌ مِنْ غُلَامٍ سَوْءٍ لَا خَيْرَ فِيهِ. (انظر: ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مج 2، ص 1085 ؛ الفيروز ابادي: القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1980م، ط 3، ج 1، ص 13).

70- لفظ نَزَعَ مستعملٌ هنا استعمالاً خاصاً ويعني جاء أو قَدِمَ، لأنَّ النزاع في الاصطلاح الأندلسي هو الجندي الذي يندس في جيش الأعداء أو يدخل معهم حصنهم متنكراً في زيهم حتَّى يتعرف أخبارهم أو يشبط همهم، ثمَّ ينزع إلى قومه ساعة الحاجة إليه، وكان في الأنظمة الحربيَّة الأندلسيَّة ديوان خاص لهؤلاء يعرف بديوان التَّزاع. (انظر: حسين مؤنس، الشجر الأعلى، ص 39، هامش 4).

71- عن نص رسالة الأمير تميم. (انظر: الملحق رقم 1).

72- سلامة محمد سلمان الهرقي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، ص 194 .

73- ابن القطان، نُظُم الجمان، ج 6، ص 64-65. (يقصد بقوله مشيت الهزيمة عليه أميلاً أنَّ جيش قرطبة اضطر للتراجع للخلف أميلاً لكي يعيد تنظيم صفوفه، ولكي يحصل على الدَّعم من قِبَل باقي فرق الجيش المرابطي).

74- يعني أنه لم يولِّي الدُّيْر، ولم يتراجع إلى الخلف خوفاً من العدو، بل تراجع من أجل إعادة تنظيم صفوفه، وللحصول على المدد والدِّعم، وبذلك لا يتحقق فيه حُكم التَّوَلَّى يوم الرَّحْف، فالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ محرمٌ في الكتاب والسنة، لقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ (15) وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِعَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16))). (سورة الأنفال، الآية 15-16) وفي الحديث هو من أكبر السَّبْعِ الموبقات، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُتَوَبِّاتِ))، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وما هُنَّ؟ قَالَ: ((الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّخَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّثَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ)). (انظر: البخاري: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، باب رَمَى الْمُحْصَنَاتِ، تحقيق محمد علي القطب، المكتبة العصرية، بيروت، 1991م، ج5، ص2139؛ مُسْلِم: صَحِيحُ مُسْلِمٍ، باب الكبائر وأكبرها، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998م، ط1، ص60).

75- طَوَّدَ: الجُمُعُ أَطَوَّدَ، والطَّادِي الثَّابِتُ، طَادَ إِذَا ثَبَتَ، الطَّوْدُ: الجَبَلُ الْعَظِيمُ، والطَّوْدُ: الهَضْبَةُ، وصفت عائشة أباهما أبي بكر الصَّدِّيق رضي الله عنهما فقالت "ذَاكَ طَوْدٌ مُنِيفٌ"، أي جَبَلٌ عَالٍ". (انظر: ابن منظور، لسان العرب، مج4، ص2717؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص308؛ الأزهرى: مُعْجَمُ تَهْذِيبِ اللُّغَةِ، تحقيق رياض زكي قاسم، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م، ط1، مج3، ص2228-2229).

76- من الرَّحْمِ، وهو أَنْ يَزْحَمَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ كَثْرَةِ الرَّحَامِ إِذَا ارْزَحُوا، وَارْزَحُوا وَتَرَاثَمُوا: تَضَاعَفُوا، وَرَجُلٌ مِرْحَمٌ: كَثِيرُ الرَّحَامِ أَوْ شَدِيدُهُ. (انظر: ابن منظور، لسان العرب، مج3، ص1819؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4، ص122).

77- عن نص رسالة الأمير تميم إلى أخيه علي. (انظر: الملحق رقم 1).

78- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، 123/1.

79- ابن القطان، نُظْمُ الْجِمَانِ، ج6، ص65. (على عكس باقي الروايات النَّصْرَانِيَّةِ فِي هَذَا الشَّأْنِ فقد جاءت رواية المستشرق ميرندا موافقة للرواية الإسلامية. انظر: وقعة أقليش ومصرع الأمير ضون شانجه، ص123).

80- ميرندا أمبروسيو هويشي، وقعة أقليش ومصرع الأمير ضون شانجه، ص123؛ سلامة محمد سلمان الهري، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، ص194.

- 81- ابن القطان، **نُظم الجمان**، ج6، ص66 .
- 82- يصف لنا الأمير تميم في رسالته إلى أخيه أمير المسلمين علي بن يوسف، هول المعركة في عبارات حماسية مضطربة حيث قال "فعند ذلك اختلطت الخيل، بل سال السيل، وأظلم الليل، واعتنقت الفرسان، واندقت الخرسان، ودجا ليل القتام، وضاق مجال الجيش اللّهام، واختلطت الحسام بالأجسام، والأرماع بالأشباح، ودارت رحي الحرب تغر بنكالها، وثارت نائرة الطّعن والضّرب تفتك بأبطالها. (عن نص الرّسالة، انظر: الملحق رقم 1).
- 83- روض القرطاس، ص160 .
- 84- تاريخ الأندلس، ص114. (واكتفى ابن عذارى بالقول بأنّه وقعت بين الجيشين حروب يطول ذكرها كانت الدائرة فيها على الرّوم). (انظر: البيان المغرب، ج4، ص50).
- 85- نُظم الجمان، ج6، ص66 .
- 86- مَسَحَ الغُبار بمعنى اُجْلَى، والمَسْحُ هو تَحْوِيلُ صُورَةٍ إِلَى صُورَةٍ أَقْبَحَ مِنْهَا، أَوْ تَحْوِيلُ خَلْقٍ إِلَى صُورَةٍ أُخْرَى، وَيُقَالُ: وَأَمْسَحَ الْوَرَمَ أَيُّ اُئْخَلَ. (انظر: ابن منظور، لسان العرب، مج5، ص4199 ؛ الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ج1، ص267-268؛ الأزهرى، مُعجم تهذيب اللغة، مج4، ص3392-3393).
- 87- عن نص رسالة الأمير تميم. (انظر: الملحق رقم 1).
- 88- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص114 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص50 ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص160 ؛ السّلاوي، الإستقصا، ج2، ص57 .
- 89- لم ينجوا من القادة الكبار لألفونسو السّادس غير ألبرهانس حيث قام بالفرار مع بعض قوّاته إلى طليطلة. (انظر: سلامة محمّد سلمان الهرفي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، ص194).
- 90- ذكره ابن القطان باسم بلشون، وكذلك ميراندا، بينما ذكرته معظم المراجع الحديثة باسم بلنشون، بالإسبانيّة يكتب (Belinchon) وهو حصن يبعد عشرين كيلومتر غرب مدينة أقليمش. (انظر: نُظم الجمان، ج6، ص66 ؛ وقعة أقليمش ومصرع الأمير ضون شانجه، ص123 ؛ عنان، عصر المرابطين وبداية الدّولة الموحّديّة، ص65 ؛ محمّد سهيل طقّوش: تاريخ المسلمين في الأندلس 91-897هـ/710-1492م، دار النفائس للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، 2008م، ط2، ص510).
- 91- نُظم الجمان، ج6، ص66 .

- 92- عنان، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحّدية، ص 65 .
- 93- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين، 123/1. (يبدو أنّ غرض المستشرق أشباح من هذه الرواية هو إظهار مدى شجاعة الأمير سانشو ومؤدبه الكونت غرسية أرونش، فقال بأتهما دخلا إلى ميدان المعركة وقاتلا كالأبطال، وأوافق رأي المستشرق ميراندا الذي نقد هذه الرواية وقال بأتهما صوّرت الكونت غرسية أرونش على أنّه رجل بلغ الغاية القصوى من النبيل والفروسية والشجاعة، بينما يصفه خصومه بالنزول إلى مستوى مخجل من العجز والجن والحسد). (انظر: وقعة أقليمش ومصرع الأمير ضون شانجه، ص 120).
- 94- عنان، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحّدية، ص 65 .
- 95- الرسالة من تأليف الوزير الكاتب ابن شرف على لسان الأمير تميم والي غرناطة بعثها إلى أمير المسلمين علي بن يوسف عقب انتصار المسلمين في معركة أقليمش، حيث تلخص هذه الرسالة وقائع المعركة، وكيف استطاع المرابطون تحقيق النصر. (عن نص الرسالة، انظر: الملحق رقم 1).
- 96- يبدو أنّه عندما انتهى الصّدام العنيف بين المسلمين والمسيحيّين وخمدت المعركة، فرّ بعض النّصارى وتحصّنوا بقصبة المدينة (قلعة المدينة) لكي يسلموا من القتل.
- 97- يذكر الأمير تميم في رسالته أنّ القائدين ابن عائشة وابن فاطمة بقيا محاصرين للنّصارى في قصبة المدينة حصاراً شديداً، آخذين بمخنّفهم، ومستولين على رمقهم. (عن نص الرسالة، انظر: الملحق رقم 1).
- 98- ابن القطان، نُظم الجمان، ج 6، ص 66. (حاول المستشرق ميراندا أمبروسيو هويشي أن يُنقص من قيمة النّصر الذي أحرزه المرابطون، حيث قال بأنّ استيلائهم على قصبة أقليمش لم يتم إلا بعد أن تظاهروا المسلمين بالانسحاب، وبقوا على مقربة من المدينة محتبئين عن أنظار العدو، واستغلوا خروج النّصارى من القصبة هاربين فانقضّوا عليهم، واحتلوا القصبة. وأرى بأنّ هذه عبارة عن خطة محكمة وضعها القائدين ابن عائشة وابن فاطمة تبين حنكتهما وخبرتهما العسكريّة وقد تمكنا من خلالها الاستيلاء على قصبة المدينة). (انظر: وقعة أقليمش ومصرع الأمير ضون شانجه، ص 124).
- 99- (la bataille d'Alarcos) من أشهر معارك الموحّدين بالأندلس، قادها أمير المؤمنين يعقوب المنصور وحقق نصراً باهراً على النّصارى في شهر شعبان سنة 591هـ/1195م، وتعتبر هذه المعركة رفقة معركة الزّلاقة من أشهر وأكبر معارك المسلمين بالأندلس. (انظر: ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحّدين، تحقيق محمّد ابراهيم الكتاني ومحمّد بن تاووت، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1985م، ط 2، ج 5، ص 218 وما بعدها ؛ الخلل الموشيّة، ص 159 ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 220 وما بعدها).

- 100- أعمال الأعلام، ص253 .
- 101- عصر المرابطين وبداية الدولة الموحّدية، ص65 .
- 102- هو يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري يكنى بأبي بكر وهو المشهور بابن الصّيرفي، وهو أحد علماء وكتاب وشعراء غرناطة أيام المرابطين، وكان من أهل المعرفة بالأدب والعربية والفقه والتّاريخ، له كتاب الأنوار الجليّة في أخبار الدّولة المرابطيّة وهو الآن في حكم المفقود، وقد نقل من كتابه هذا معظم المؤرخين الذين جاءوا بعده مثل صاحب الخلل الموشيّة وابن عذارى وابن الخطيب وغيرهم، وله أيضًا كتاب تقصّي الأنباء في سياسة الرّؤساء، توفي بغرناطة في حدود سنة 570هـ/1174م. (انظر: الخلل الموشيّة، ص93، هامش 95 ؛ البيان المغرب، ج4، ص49-50 ؛ الإحاطة، مج4، ص407 وما بعدها عدّة صفحات).
- 103- البيان المغرب، ج4، ص50 .
- 104- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين، 124/1 .
- 105- يذكر ابن عذارى أنّه بعد عام وشهرين تقريبًا مات ألفونسو السّادس همًا وحزنًا على إثر مقتل ابنه الوحيد سانشو وعلى هلاك عسكره في معركة أڤليش، وكانت وفاته بطليطلة في شهر ذي الحجة سنة 502هـ الموافق لشهر جويلية 1109م، في حين أنّ ابن أبي زرع يقول أنّه توفي بعد عشرين يومًا من موقعة أڤليش سنة 502هـ/1109م، وقد ذكرت سابقًا أنّه أخطأ في تحديد تاريخ الموقعة حينما قال أنّها حدثت سنة 502هـ/1109م والصّحيح أنّها حدثت قبل ذلك بعام أي سنة 501هـ/1108م. (انظر: البيان المغرب، ج4، ص50 ؛ روض القرطاس، ص160).
- 106- روض القرطاس، ص160 .
- 107- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين، 123/1 .
- 108- وصف الأمير تميم في رسالته كثرة الجثث التي جُمعت في نهاية المعركة بقوله "كانت كالهضب الجسيم، بل الطّود العظيم". (عن نص الرّسالة، انظر: الملحق رقم1).
- 109- اختلف المؤرخون في تحديد عدد قتلى النّصارى فيرى ابن أبي زرع أنّه قُتل منهم أكثر من ثلاثة وعشرون ألفًا، ويرى أشباخ أنّه قُتل منهم عشرون ألفًا وهاتين الرّوايتين الأرجح أنّهما تجانبان الصواب، بينما يقول الأمير تميم في رسالته أنّ عددهم كان أكثر من ثلاثة آلاف قتيل، وأرى أنّ عدد قتلاهم يكون ما بين سبعة آلاف وعشرة آلاف قتيل، وهناك أدلة كثيرة تثبت ذلك منها أنّ عدد الجيوش المشاركة في المعركة، حيث غلّك روابتين إسلاميتين تحددان عدده الأولى تقدره بعشرة آلاف وهي لابن القطان والثّانية تقدره بسبعة آلاف فارس وهي لابن عذارى، وبالنّظر لما قاله الأمير تميم في رسالته "ومات جلهم بل كلهم، وما نجا إلّا أقلهم" هو دليل على أنّه لم ينجو منهم إلّا عدد قليل، كما أنّ

الأمير تميم عندما أمر عقب الموقعة بجمع رؤوس القتلى من النصارى جمعت القريبة من المكان الرئيسي للمعركة فقط ولم تجمع البعيدة منها فكان عددها أكثر من ثلاثة آلاف رأس، فلو جمعت كل الرؤوس لوصل العدد إلى حوالي سبعة آلاف قتيل، ويمكن أن نضيف دليل آخر وهو وجود نصارى متحصنين بقصبة المدينة قبل اندلاع المواجهة بين الجيشين، ومعلوم أنَّ المسلمين اقتحموا هذه القصبة وقتلوا عدد معتبر منهم. (انظر: روض القرطاس، ص 160؛ نُظْم الجمان ج 6، ص 64؛ البيان المغرب، ج 4، ص 50؛ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج 1، ص 123). (وعن نص رسالة الأمير تميم إلى أخيه علي، انظر: الملحق رقم 1).

110- ميراندا أمبروسيو هويشي، وقعة أقليمش ومصرع الأمير ضون شانجه، ص 123؛ عنان، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحّدية، ص 65. (انظر أيضًا: الملحق رقم 1).

111- عصر المرابطين وبداية الدولة الموحّدية، ص 66.

112- روض القرطاس، ص 160.

113- يبدو أنَّ طائفة من العرب الذين كانوا في المغرب إذ ذاك جازوا إلى الأندلس في أيام المرابطين برسم الجهاد، وقد شاركوا في هذه المعركة واستشهد بعضًا منهم، وقد تحدث الأمير تميم في رسالته عن أحد هؤلاء الفرسان العرب المشاركين في المعركة دون ذكر اسمه حيث قال "فبرز فارس من العرب، فطعن فارسًا منهم فأذراه من مركبه، ورماه بين يدي مركبه". (انظر: ابن القطان، نُظْم الجمان ج 6، ص 66، هامش 5؛ حسين مؤنس، الثغر الأعلى، ص 41، هامش 2). (وعن نص رسالة الأمير تميم إلى أخيه علي، انظر: الملحق رقم 1).

114- نُظْم الجمان ج 6، ص 66.

115- أغلب المؤرخين المحدثين خاصةً المستشرقين منهم مثل أشباح وميراندا يعتبرون أنَّ الأمير تميم ارتكب خطأ فادحًا عندما أحجم عن التَّوغل في أعماق قشتالة لمطاردة الفلول الهاربة إلى طليطلة ومحاصرتها والاستيلاء عليها، وقالوا بأنَّ هذا الأمر يثير الاستغراب والحيرة في آنٍ واحد، وأكدوا أنَّ هذا الموقف لم يكن الأوَّل في تاريخ المرابطين فقد حدث مثل هذا الموقف بعد انتصارهم في الزَّلَاقَة في عهد يوسف بن تاشفين، وأرى بأنَّه لم يرتكب هذا الخطأ لأنَّ هناك ظروف وأسباب منعت من فعل ذلك، حيث أنَّ معركة أقليمش كانت حامية الوطيس والمرابطين أيضًا خسروا في المعركة عدد لا يستهان به من المقاتلين، ومن غير الممكن إعادة تنظيم صفوف الجيش بسرعة فائقة والمهجوم على مدينة بحجم طليطلة، لأنَّ الهجوم عليها يحتاج إلى وقت كبير لتحضير العُدَّة والعتاد اللازمين؛ وقد حدث الهجوم على طليطلة عندما توفرت السُّبل فقد ذكر ابن أبي زرع ذلك إثر حديثه عن العبور الثَّاني للأمير علي بن يوسف إلى الأندلس في الخامس عشر من محرم سنة 503هـ/13 أوت 1109م. ثمَّ أنَّ عملية

مطاردة الفلول الهاربة قد حدثت بالفعل لأنّ المرابطين استولوا بعد نهاية المعركة مباشرةً على مجموعة من المدن القشتاليّة مثل قونكة وويذة وغيرها وهذه المدن تبعد عن أقليم أُميّا عديداً. (انظر: روض القرطاس، ص 161؛ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين، ج 1، ص 123-124؛ وقعة أقليم ومصرع الأمير ضون شانجه، ص 123؛ عنان، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحّدية، ص 66؛ سلامة محمّد سلمان الهري، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، ص 196-197).

116- (عن نص الرّسالة، انظر: الملحق رقم 1).

117- أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين، ج 1، ص 123-124.

118- ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمّد صلاح حلمي، مراجعة لطفي عبد البديع، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، مصر، 1995م، ص 254.

119- عنان، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحّدية، ص 67.

120- حمدي عبد المنعم محمّد حسين، التّاريخ السّيّاسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 163.

121- نفسه.

122- سلامة محمّد سلمان الهري، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، ص 197.

123- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 161؛ السّلاوي، الإستقصا، ج 2، ص 59.

124- يبدو أنّ أمير المسلمين علي بن يوسف أراد استغلال فرصة وفاة ألفونسو السّادس في ذي الحجة 502هـ/جويلية 1109م وتذبذب أركان دولته، بتولي ابنته أوراكا للحكم، والعبور بنفسه إلى الأندلس بقصد محاصرة طليطلة واستعادتها من أيدي القشتاليّين. وأريد أن أشير إلى أنّ بعض المراجع الحديثة أخطأت في قولها أنّ الأمير علي أراد استغلال نشوب حرب أهلية بين ألفونسو الأوّل المحارب ملك أراغون ونافارا، وزوجته أوراكا ملكة قشتالة وليون وأشتوريش، بقصد استعادة طليطلة، والصّحيح أنّه لم يتزوجا قبل محاولة استعادتها، وعبور الأمير علي إلى الأندلس الذي حدث في الخامس عشر من محرم سنة 503هـ الموافق للثّالث عشر من شهر أوت 1109م، والزواج حدث بعد ذلك بحوالي شهر أي في صفر سنة 503هـ/سبتمبر 1109م، بالإضافة إلى أنّ بداية الحرب الأهليّة بينهما كانت بعد مرور عدّة أشهر من زواجهما. (انظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص 115-116، هامش 4؛

أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج1، ص147؛ سلامة محمد سلمان المهري، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، ص201.

125- المقصود هنا طَلَبِيْرَة دي لارينة (Talavera de la Reina) وهي مدينة كبيرة من أعمال طليطلة تقع في جهتها الغربية وعلى سبعين ميلاً منها، وهي على ضفة نهر تاجة في أقصى ثغور المسلمين وقد كانت حاجزاً بينهم وبين الإفرنج، وهي قديمة الآثار، قلعتها أرفع القلاع حصناً ومدينتها أشرف البلاد حسناً، مزارعها زكية، بها أسواق جميلة الترتيب حسنة التركيب. وتصدر الإشارة إلى أنَّ هناك مدينتين في الأندلس تحملان أيضاً اسم طَلَبِيْرَة إحداهما قرية إلى الجنوب من طَلَبِيْرَة دي لارينة يقال لها طَلَبِيْرَة المرح (Talavera la Vega) والثانية قرية بالقرب من بطليوس بغرب الأندلس على ضفة وادي أنه. (انظر: البكري: جغرافية الأندلس وأوروباً من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1968م، ط1، ص89؛ الإدريسي، القارّة الإفريقيّة وجزيرة الأندلس، ص274-275؛ الحموي، معجم البلدان، مج4، ص37؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص254 هامش1). (انظر أيضاً: الخريطة المرفقة بالمقال).

126- البيان المغرب، ج4، ص52.

127- تاريخ الأندلس، ص116.

128- الخلل الموشية، ص85.

129- نظم الجمان، ج6، ص69.

الملاحق:

الملحق رقم 1: قسم¹ من رسالة الأمير تميم إلى أمير المسلمين علي بن يوسف عقب فتح أقليم²

أطال الله بقاء أمير المسلمين وناصر الدين، عماد الأنام، وعتاد الإسلام... والحمد لله الذي أسعد بدولة أمير المسلمين الأيام، ونصر بسيفه الإسلام، وغاز به الكفار، وجعل عليهم الكرة فولوا الأدبار، والله تعالى يشفع سعوده، ويضمن مزيده، وينصر جنوده بمنه.

ولمّا أن وضعني أمير المسلمين، أدام الله نصره، حيث شاء من آلة التّشريف، والعزّ المنيف... حفظت تلك الحرمة، وشكرت لأستزيد من تلك النّعمة، وأخذت في الاجتهاد في الجهاد عالماً سببه، أخذاً بمذهبه... وسرت عن حاضرة غرناطة حرسها الله في العشر الأواخر من شهر رمضان المعظم³ بجيشٍ تصم صواهلها، وتطم كواهلها، رياته خافقة، وعزماته صادقة، ونبراته على السنة السعد ناطقة... وانحنا بثغر بيّاسة وقد توافد الجمع، وملىء البصر والسمع... ولحقنا بطرف بلاد العدو أعادها الله... وأفضت بنا الخيرة إلى المدينة الحصينة أقلّيش... وغدونا يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من شوال⁴، فدرنا بها دور الحلقة بنقطها... وجئنا بكل ضرب من الحرب... حتّى فض الختام، وعُض منه الإجماع، وعجّل الله بالنّصر وفتحها بالقسر.

ولمّا استحر فيهم القتل، واجتث منهم الأصل... وعادت بقاياهم بقصبة المدينة فولوجوا، كما يلج العصفور، ويقوم العثور، قد غلقوا الأبواب، وأسدلوا الحجاب... ولأذ بنا من هنالك من المسلمين عائذين بنا، مستسلمين لنا، فناشدونا بالملّة وحرمتها... فأوينا شاردهم وأقمنا قاعدتهم... فأصبحنا في عزّ وأنس، وأصبحوا لا ترى إلّا مساكنهم كأن لم يغنوا بالأمس.

وتضامت تلك العصابة إلى تلك القصبة والقوم في السّجن، والحصن في الحصر... وكان الطاغية أذفونش زاده الله دُلاً قد حشد أقطاره وحشر أنصاره، وأبعد في الاستصراخ مضماره، وعبأ جيشاً قد أسرا إلى ذمر، وانطوى على غمر... فاستسلمت جماعتهم على ابن الطاغية أذفونش، وشيخهم وزعيم فرسانهم غرسية أزدونش، وصاحب شوكتهم ألبرهانس والقمط بقبدره وقواد بلاد طليطلة وصاحب قلعة النّسور وقلعة عبد السّلام، وكل قاص ودان، وعاجل ووان، أخزى الله جميعهم، وطلّ نجيعهم، ولا أقام صريعهم.

وطرقوا من طرف مجتمعهم يريدون الغرة... وتقدموا فتندموا... وأرسل الله تعالى من جنده فتى كانوا قد سبوه صغيراً واقتنوه أسيراً، والله تعالى فيه خُبَاءٌ أعدّها من عنده، وبعثها من جنده، ونَزَعَ الفتى إلينا من معسكرهم منبئاً بهم دالّاً عليهم، وكاشفاً بهم على النبأ العظيم، ومطلعاً منهم على المقعد المقيم... وكنت قد استدنيت القائدين المحجرين ذوى النصيحة والآراء الصّحيحة أبا عبد الله محمّد بن عائشة وأبا محمّد عبد الله بن محمّد بن فاطمة... فاجتمعنا على كلمة الله متعاقدين... وعبأنا الجيش بمناء ويسراه، وصدره ولهاه، وساقته وأولاه، ونهضنا بجملتنا من محلّتنا... ووصلوا إلى مقدمتنا وكان هناك القائد أبو عبد الله محمّد بن أبي زنغي مع جماعة، فصدهم العدوّ بصدور غرّة وقلوب أشرة... وتقهقر القائد أبو عبد الله غير مؤلّ، وتراجع غير مخلّ إلى أن اشتدّ منا بطّود، وزجّم من جيشنا بعود. فتراءى الجمعان... وبرزت السيوف عن الأغماد... فبرز فارس من العرب، فطعن فارساً منهم فأذراه من مركبه، ورماه بين يدي موكبه... فعند ذلك اختلطت الخيل، بل سال السيل، وأظلم الليل، واعتنقت الفرسان، واندقت الخرسان، ودجا ليل القتام، وضاق مجال الجيش اللّهام، واختلط الحسام بالأجسام، والأرماح بالأشباح، ودارت رحى الحرب تغر بنكالها، وثارت ثائرة الطّعن والضّرب تفتك بأبطالها... فما وضع النّهار، ولا مَسَحَ الغبار حتّى خضعت منهم الرّقاب، وقبلت رؤوسهم التّراب... ومات جلهم بل كلهم، وما نجا إلّا أقلّهم... وملئت الأيدي بنيلٍ وافي الكيل، خيلاً وبغالاً وسلاحاً ومالاً، ودروعاً... ثمّ أمرت بجمع الرؤوس، فاحتيزت الدانية وزهد في جمع النائية، فكان مبلغها نيّفاً على ثلاثة آلاف منهم غرسية أرذونش والقومط وقواد بلاد طليطلة وأكابر منهم لم يكمل الآن البحث عنهم، فكانت كالهضب الجسيم، بل الطّود العظيم، وأدّن عليها المؤدّنون، يوحدون الله ويكبّرون، فلما جاء نصر الله... شكرنا مولى النعم ومُسديها، ومُعيد المنن ومُهديها، وصدرت غانماً، وأبت سالماً، وبقي القائدان محاصرين لحصن أفلش، آخذين بمخنتّهم، ومستولين على رمقهم.

فخاطبت أمير المسلمين... معلماً بالأمر، مهنيًا بالنصر، فلنحمد الله عزَّ وجلَّ على ما وهب... فهو وليّ الامتنان، والمليّ بالفضل والإحسان، لا رب غيره ولا معبود سواه.

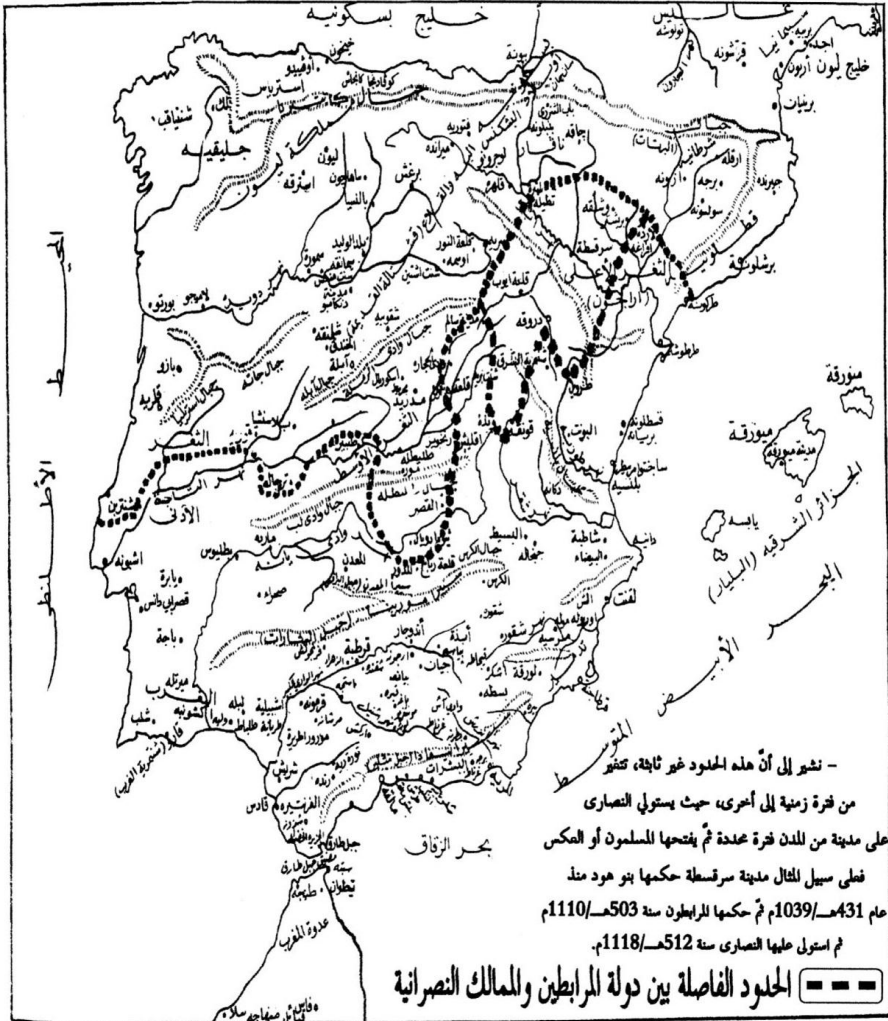
1- نص الرسالة كاملاً. (انظر: ميراندا أمبروسيو هويثي، وقعة أقليمش ومصرع الأمير ضون شانجه، ص 125 وما بعدها عدّة صفحات ؛ عنان، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحّدية، ص 533 وما بعدها ؛ حسين مؤنس، الشجر الأعلى الأندلسي، ص 35 وما بعدها).

2- الرسالة في الأصل من تأليف الوزير الكاتب ابن شرف على لسان الأمير تميم بن يوسف والي غرناطة والقائد العام للجيوش المرابطية في الأندلس بعثها إلى أمير المسلمين علي بن يوسف عقب انتصار المسلمين في معركة أقليمش، حيث تُلخص هذه الرسالة وقائع المعركة، وكيف استطاع المرابطون تحقيق النصر. وقد جاءت الرسالة في المراجع الحديثة بعنوان: "رسالة كتب بها الوزير الكاتب ابن شرف عن بعض رؤساء الغرب إلى أمير المسلمين رحمه الله في فتح أقليمش أعادها الله بقدرته". واخترت العنوان المدون أعلاه لكي أزيل اللبس وأبين المصدر الحقيقي للرسالة ولمن أرسلت، والغرض منها.

3- العشر الأواخر من شهر رمضان عام 501هـ الموافق للعشر الأوائل من شهر ماي عام 1108م.

4- يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر شوال سنة 501هـ الموافق للستّاع والعشرين من شهر ماي سنة 1108م.

الملحق رقم 2: خريطة توضح: دولة المرابطين بالأندلس في عصر علي بن يوسف



حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، ص 1.